فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية[1]

[1] رواه أبي داود وابن ماجة وأحمد في المسند واللفظ له وصححه الحافظ بن حجر في الفتح.

قبل البدء في هذه الورقة كان لزاماً علي أن أستحضر قول أبي الطيب المتنبي

لكل داء دواء يستطاب به   إلا الحماقة أعيت من يداويها

فهذا هو أفضل توصيف لهذا الموضوع، والذي تدور فكرته حول قول هذا الشماس الأبكم حول قول الله سبحانه وتعالى :

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) النساء

فقال :

غايته أن يقول بعدم قتل اليهود للمسيح، لأنه يقول "وما قتلوه وما صلبوه" ولم يقل "وما قُتل وما صُلب" فقد نفى النص الفاعل (وهو حسب السياق: اليهود) ولم ينف الفعل نفسه ألا وهو الصلب والقتل

قلت : وأنه من الطبيعي بشخص كان قدوته ومعلمه شخص مثل قديس الكنيسة مارآمون وأثناسيوس الذين كانوا في غاية القذارة الفكرية والجسدية والوساخة على حد تعبير السيدة ل.بتشر[2] أن يكون كلامه بهذا المستوي العقلي والمنطقي.

وقبل الولوج في الموضوع دعونا نتعرض لبعض التناقضات التي يسير عليها هذا الشماس الأخرس والتي وضعها لبعض المساكين الذين كانوا يطلبون العلم على يديه، فقال في غير موضع :

[2] تاريخ الأمة القبطية : ل. بتشر

3. ليس من حق المسلم التفسير!، هذه نقطة تكلمنا عنها سابقاً، وهي أن المسيحي من حقه التفسير مادام لم يعارض التقليد بشقيهِ لكن المسلم ليس من حقه التفسير في الأساس، فهو ليس كتابته، وهو خصم حواري ومُغرض، ومن هنا ما الذي يجب ملاحظته اثناء قراءة الشبهة؟ اي تفسير شخصي لمسلم هو غير قابل للنقاش أصلاً، حتى ولو كان صحيحاً فالمبدأ هو أن تستشهد بما يخصني وليس أن تفسر على هواك، ومن هنا يجب الإلتفات إلى هذه التفاسير الشخصية بغرض طلب تاكيدها من مصادر مسيحيّة ويكون هذا هو الحد الادنى الذي يبدأ على أساسه الحوار وليس إضاعة الوقت في تفسير شخصي لمسلم، هذا المبدأ مهم للغاية، ويجب على المدافع ألا يمر عليه ويتساهل فيه، فلا ضرر إن إستمر الحوار لسنوات ولكن أن يكون مفيد، ولن يكون مفيداً بالتفسيرات الشخصية للمسلم، لماذا؟ دعونا نفترض، المسلم قام بالتفسير، وانت قمت بالتفسير، من الذي يحكم في صحة التفسير؟ في هذه الحالة طالما أن المسلم لم يستعن أصلا بالتقليد ولا بالآباء ولا بالبطارقة ولا بالأساقفة ولا بالقمامصة والقسوس ولا بالعلماء، فهو قد رفض الحوار العلمي أساسا وبالتالي فلا غاية من الحوار إلا ضياع الوقت وهذه تسمى مناقشات غبية والتقليد المقدس المكتوب قد نهى عنها، كيف سيساعدنا هذا بشكل عملي على المستوى القريب والبعيد ؟ على المستوى القريب سيساعدنا في الرد على أكبر كم من الشبهات في زمن قياسي صغير، لانه كما قلت ان الغالبية من الشبهات تكون هكذا وبالتالي، مجرد طلب الدليل ينهي الشبهة تماماً، وأما على المستوى البعيد، فهو سيجعل المسلم نفسه أكثر علمية وأكاديمية ومنطقية وبحثية وبالتالي لن يكتب مثل هذه الشبهات الساذجة، فلن يقتص صورة من هنا ويقوم بتلوينها ليخدع بها البسطاء، بل سيعرف أصول البحث العلمي الحر.

وهذا إقتباس وصورة تغني عن ألف كلمة، وفي ضوء ما أشرنا له بلون مميز نسأله عدة أسئلة حول " تفسيره الشخصي " لبعض آيات القرآن الكريم التي تناولها؛ فقد حاول لي عنق الآية الكريمة { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ } فقال:

وهذه يمكن تفسيرها بالقرائن القرآنية بسهولة، كمثل أن تقول أنهم توهوا أنهم قتلوه ولكنه حي عند ربه، إعتمادا على النص:

1. وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154) البقرة

2. وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) آل عمران

فمع إقرار القرآن بأنهم "قتلوا" إلا أنه يقول "بل أحياء عند ربهم" فيمكن حمل هذه على تلك بمعنى أن لا تحسبوا أيها اليهود أنكم قتلتموه فقد شبه لكم هذا ولكنه حي عندي، وهذا يؤيده النص: بل رفعه الله إليه

عبارة: وما قتلوه يقينا، يقال عنها عين ما قلته سابقا عن: وما قتلوه وما صلبوه. فنحن نعرف انهم لم يقتلوه يقينا ولكن قتله الرومان

وهنا السؤال :

هل قال أحد من علماء المسلمين المعتبرين أن المقصود من قوله تعالى { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ } ما قاله هذا النصراني ؟

فكما بينا أن هذا النصراني كان يشترط على المسلم عن التفسير الشخصي، ويطالب بالإحتكام لتفسيراتهم هم، فلماذا لم يستعن هو هنا بتفسيرات العلماء المسلمين لنصوصهم، أم انه هنا من حق النصراني أن يفسر القرآن الكريم ؟

ولذلك فكما هو طلب، فنحن نستعرض حشد من أقوال مفسري وعلماء الأمة في الآية الكريمة .

قال الإمام بن كثير رحمه الله :

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ } أي: رأوا شبهه، فظنوه إياه، ولهذا قال: { وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ } يعني بذلك: من ادعى أنه قتله من اليهود، ومن سلمه إليهم من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: { وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً } أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين.[3]

وقال الإمام أبي جعفر الطبري :

وما قتلوا هذا الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقيناً أنه عيسى، ولا أنه غيره، ولكنهم كانوا منه على ظنّ وشبهة وهذا كقول الرجل للرجل: ما قتلت هذا الأمر علماً وما قتلته يقيناً، إذا تكلم فيه بالظنّ على غير يقين علم فالهاء في قوله: { وَما قَتَلُوهُ } عائدة على الظنّ.[4]

وقال السمرقندي :

[3] تفسير القرآن العظيم 234/2

[4] جامع البيان 11/5

فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم فقال: { وَمَا قَتَلُوهُ، وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبّهَ لَهُمْ } يعني ألقي شبه عيسى على غيره فقتلوه، ثم قال { وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّ مّنْهُ } أي من قتله { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ } يعني لم يكن عندهم علم يقين أنه قتل أو لم يقتل { إِلاَّ ٱتّبَاعَ ٱلظَّنّ } أي قالوا قولاً بالظن { وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً } أي لم يستيقنوا بقتله ويقال يقيناً ما قتلوه { بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ }.[5]

وقال الماوردي رحمه الله :

{ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ } فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنهم كانوا يعرفونه فألقى شبهه على غيره، فظنوه المسيح فقتلوه، وهذا قول الحسن، وقتادة، ومجاهد، ووهب، والسدي.

والثاني :أنهم ما كانوا يعرفونه بعينه، وإن كان مشهوراً فيهم بالذكر، فارتشى منهم يهودي ثلاثين درهماً، ودلهم على غيره مُوهِماً لهم أنه المسيح، فشُبِّهَ عليهم.

والثالث :أنهم كانوا يعرفونه، فخاف رؤساؤهم فتنة عوامِّهم، فإن الله منعهم عنه، فعمدوا إلى غيره، فقتلوه وصلبوه، ومَوَّهُوا على العامة أنه المسيح، ليزول افتتانهم به.

{ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ } فيه قولان:

أحدهما :أنهم اختلفوا فيه قبل قتله، فقال بعضهم: هو إله، وقال بعضهم: هو ولد، وقال بعضهم: هو ساحر، فشكوا { مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ } الشك الذي حدث فيهم بالاختلاف.

والثاني: ما لهم بحاله من علم – هل كان رسولاً أو غير رسول؟ – إلا اتباع الظن.

{ وَمَا قَتَلُوهُ يَقْيناً } فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: وما قتلوا ظنَّهم يقيناً كقول القائل: ما قتلته علماً، وهذا قول ابن عباس، وجويبر.

والثاني: وما قتلوا أمره يقيناً أن الرجل هو المسيح أو غيره، وهذا قول السدي.

والثالث: وما قتلوه حقاً، وهو قول الحسن.[6]

---

[5] بحر العلوم 344/1
[6] النكت والعيون 21/4

وغيره الكثير مما لا يسع المقام بسطه هنا، فهل وجدنا هذا النصراني الجاهل الذي يضيع وقتنا في نقاشات غبية على حد تعبيره يستشهد بما قاله هؤلاء المفسرين أو غيرهم من علماء الأمة الذي كان يحرض هذا النصراني أمثاله من النصارى لكي يطلبوا ذلك في حوارهم للمسلمين.

فقد كان يقول لهم أنه لا يحق للمسلم وقد وصفنا بالمغرضين تفسير كتابهم المقدس، فهل يحق له إذا – هذا النصراني المشرك النجس كما يقول رب العزة – تفسير كلام الله العزيز الحكيم ؟

ثم يستمر هذا الأخرس في الدهان من قارورته الفارغة ويأتي عند قوله عز وجل :

وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ (110) المائدة

فيقول :

النص لا يتكلم عن فعل الموت والصلب تحديداً، يمكن أن يكفوا عنه إلا عندما يسمح الله بالموت، وموت الانبياء معترف به قرآنيا، فلا أعلم أين الصعوبة المنطقية أو العقيدية في قبول موت المسيح خصوصا مع دم وجود نص قرآني به شبهة نفي للصلب وللموت.

قلت : ومن أين جئت بـ " يمكن " هذه ، فهل هي من أقوال علماء المسلمين أم من أقوال آباء الإعتراف ؟

فهل هذه المنهجية التي كنت تدعوا لها ام ماذا أيها الشماس الأبكم ؟

يقول الإمام الطبري :

وقوله :وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّناتِ } يقول: واذكر أيضاً نعمتي عليك، بكّفي عنك بني إسرائيل إذ كففتهم عنك وقد همّوا بقتلك، { إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّنَاتِ } يقول: إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوّتك وحقية ما أرسلتك به إليهم. { فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ } يقول تعالى ذكره: فقال الذين جحدوا نبوّتك وكذّبوك من بني إسرائيل: { إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ.}[7]

وقال ابن كثير :

وقوله تعالى: { وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىۤ إِسْرَٰءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ

[7] جامع البيان 324/5

مُّبِينٌ } أي: واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك، واتهموك بأنك ساحر، وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم، ورفعتك إلي، وطهرتك من دنسهم، وكفيتك شرهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا، أو يكون هذا الامتنان واقعاً يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم[8].

وقال الطاهر ابن عاشور :

وقوله :وإذ كففت بني إسرائيل عنك } عطف على { إذْ أيّدتك } وما عطف عليه. وهذا من أعظم النعم، وهي نعمة العصمة من الإهانة؛ فقد كفّ الله عنه بني إسرائيل سنين، وهو يدعو إلى الدين بين ظهرانيهم مع حقدهم وقلّة أنصاره، فصرفهم الله عن ضرّه حتى أدّى الرسالة، ثمّ لمّا استفاقوا وأجمعوا أمرهم على قتله عصمه الله منهم فرفعه إليه ولم يظفروا به، وماتت نفوسهم بغيظها. وقد دلّ على جميع هذه المدّة الظرف في قوله: { إذ جئتم بالبيّنات } فإنّ تلك المدّة كلّها مدّة ظهور معجزاته بينهم. وقوله: { فقال الذين كفروا منهم } تخلّص من تنهية تقريع مكذّبيه إلى كرامة المصدّقين به[9].

وقال الخازن :

وقوله تعالى: { وإذ كففت بني إسرائيل عنك } يعني واذكر نعمتي عليك إذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك { إذ جئتهم بالبينات } يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية وذلك أن عيسى عليه السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه إلى السماء [10]

وقال طنطاوي رحمه الله :

وبعد أن ذكر - سبحانه - بعض المعجزات التى أعطاها لعيسى لكى ينفع بها الناس، أتبعها بذكر ما دفعه عنه من مضار فقال: { وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ.}

---

[8] تفسير القرآن العظيم 499/2
[9] التحرير والتنوير 113/2
[10] لباب التأويل 304/1

أى :واذكر نعمتى عليك وقت أن صرفت عنك اليهود الذين أرادوا السوء، وسعوا فى قتلك وصلبك مع أنك قد بشرتهم وأنذرتهم وجئتهم بالمعجزات الواضحات التى تشهد بصدقك فى نبوتك[11].

إذاً؛ فكان عليه الإستشهاد بأقوال علماء المسلمين كما ألزم هو نفسه من قبل، بدل من أن يقول " يمكن " هذه.

فما إستعرضناه من أقوال للمفسرين لم يورد أحد فيهم ولو وجه مما " أمكنه " هذا الشماس العليل

لذلك فلا مكان "لإمكانياته " هنا، والأحرى به أن يقولها وهو يسكر ويشرب الخمور حينما يتناول ويشرب من دم ربه في الكنيسة، أو يقولها وهو يحدث الحدث أو اي مناسبة أخرى تأتي على هذه الشاكلة

فما يفعله الآن هو أنه يضيع أوقاتنا في مثل هذه النوعية من الأسئلة الغبية كما قد أطلق عليها هو من قبل .

[11] الوسيط 1135/1

هل تمت عملية الصلب مرة أم أثنان ؟

وهذا السؤال هو عنوان هذا الجزء من هذا التعليق وهو عبارة عن طرح منطقي صغير طالما أنه قد إدعى أنه يتكلم عن منطق

وهنا بدايتنا مع هذا السؤال : هل يؤمن المسلمين بوقوع حادثة صلب ؟

والإجابة هنا بكل تأكيد وقطع نعم

وهل يؤمن النصارى بوقوع حادثة صلب ؟

وإجابة هذا السؤال أيضاً بنعم

فكلا الفريقين يؤمنون بوقوع الصلب حتي اليهود أيضاً مع الإختلاف في تعيين الشخص المصلوب

فالنصارى قالوا بأن هذا الذي صلب وقتل هو ربهم وخالقهم وإله هذا الكون عيسى بن مريم كما يدعون

ونحن – المسلمون – نختلف في هذا معهم فلا نقر بصلب المسيح، وأنما بصلب شخص آخر بدل عنه، وأن الله قد كفى المسيح عليه السلام هذا الأذي ورفعه إليه حتى ينزل في آخر الزمان ليقتل الخنزير ويدق الصليب دقاً ويضع الجزية ويحكم بشريعة أخيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فكل منا يعتقد في وقوع هذه الحادثة، وأنها كانت مرة ولم تكن مرتان

الإشكالية العقلية التي يقع فيها هذا العليل هي التي عبر عنها بقوله :

اليهود لم يصلبوا ولم يقتلوا، وهذا ما نفاه القرآن فعلا، ونحن نتفق في هذا، فأين نفي الفعل نفسه؟ او نفي الفاعل الذي صلب وقتل (الرومان)؟

قلت : ولو سرنا بهذا المنطق لأستلزم ذلك وقوع الصلب مرتان، وقتل المصلوب أيضاً مرتان في مذهب هؤلاء النصارى

فيقول كتابهم المنسوب لمرقص 14 : 55

وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً عَلَى يَسُوعَ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا.

ويقول السفر المسمى بأعمال الرسل 2 : 23

هذا اخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة و علمه السابق و بايدي اثمة صلبتموه و قتلتموه

وهنا نسبة القتل لليهود مباشرة، وعليه فيكون المصلوب عندهم قد قتل مرتين وصلب مرتين مرة على أيدي اليهود والثانية على أيدي الرومان

وهو أمر لا يصح عندهم، فالثابت عندهم أنه صلب وقتل مرة واحدة على أيدي الرومان، وإنما ذكر اليهود هنا من باب نسبة الفعل إلى سببه وهو اليهود الذين تآمروا عليه وحرضوا على قتله

ولهذا يقول القرآن الكريم حكاية عنهم :

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) النساء

فهو تفاخر منهم بأنهم كانوا سبباً لذلك، فقوله " إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم " هو من باب المجاز العقلي وغرض الإسناد فيه إلى السبب وهو من باب إسناد الفعل أو ما في معنى الفعل إلى غير من هو له، فجاء في البلاغة الواضحة :

وكما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقلي ،فإن البلاغة توجبُ أنْ يختار السبب القوي والمكان والزمان المختصان.[12]

فقد جاء الحديث من باب إسناد الأمر لهم من حيث السبب وليس من حيث التنفيذ كما في قوله تعالى :

الْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) القصص

والمعنى هذا ليكون لهم حزناً ، والإسناد مجاز عقلي لأنه سبب الحزن وليس هو حزناً[13]

[12] البلاغة الواضحة 143/1
[13] سورة القصص دراسة تحليلية 278/1

وكقوله :

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) القصص

فجاء في هذه الآية إسنادُ تذبيح أبناء المستضعفين إلى فرعونَ، مع أنَّه لم يكن هو الذي يقوم بأعمال التذبيح، إنّما كان يأمُرُ جنوده بذلك فيُطيعون أمره.[14]

فغاية الأمر ان القرآن الكريم لم يقل أن اليهود هم من صلبوه، بل يقول أنهم هم من حرضوا ضده فقط، والتنفيذ كان على أيدي غيرهم، وإنما أُسند الفعل إليهم من باب المجاز العقلي بأن أسند الفعل إليهم مع أنهم لم يكونوا هم الفاعلين، فهذه هي الغاية، وذلك هو المقصد

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

[14] البلاغة العربية 686/1